الكتب

١ — مقتل عثمان بن عفان : للأديب محمود الغزاوى

٢ — الشخصية

٣ — التربية الانكليزية

: تأليف الأستاذ محمد عطية الابراشى

للأستاذ محمود الخفيف

يعتبر مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه من أهم الحوادث فى تاريخ الاسلام ، إذ كان مقتله نتيجة ثورة عاصفة عاتية ، نسى فيها الثوار — والاسلام فى مستهل ضحاه — ما نهى عنه دينهم من قتل النفس التى حرم الله ، وامتدت أيديهم الأثيمة فى غير تردد أو اضطراب إلى عثمان بن عفان خليفة الرسول ، وزوج ابنتيه ، وأحد السابقين الأولين الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، وسال دم الخليفة الشيخ فى عقر داره ، فلم يشن على أحد غارة أو يشهر فى وجه أحد سيفا ، مما ضاعف بشاعة الجريمة ، وزاد تلك المأساة هولاً ونكرا

ولقد انطوت تلك المأساة على معان كثيرة ، فهى وليدة عدة عوامل ، ثم هى أول حادث من نوعه فى الاسلام ؛ ترى فيها ثورة سياسية ، ما زالت تنمو حتى انقلبت إلى فتنة ثم إلى طغيان

وفى هذا الكتاب الذى ألفه الأديب محمود الغزاوى ترى دراسة واضحة لتلك الثورة وتصويراً قوياً لما انتهت اليه من مأساة . مهد لموضوعه بمقدمة مبينة عن الخلافة وما كان من أمر تولية أبى بكر وعمر ، ثم وضح ما حدث من الشورى بعد موت الخليفة الثانى ، وأخذ بعد ذلك يدرس عوامل الفتنة فأشار إلى العداوة القديمة بين الهاشميين والأمويين ؛ ثم درس سياسة عثمان وبين عوامل الثورة ، وشرح حال الفتنة فى الأمصار وصور فى الخاتمة المأساة

فالكتاب يعطيك فكرة جلية عن هذا الحادث التاريخى ، وهو مجهود جدير بالثناء ، نرجو أن تعقبه مجهودات أخرى للغزاوى فهو رجل نشاط وأدب . وأريد ألا أختم الحديث عن كتابه دون أن أشير إلى بعض هفوات لا تتفق وما عرف به من فطنة وحصافة ، فهو فى صفحة ١٣ بينا نراه يحار بين أمرين فى تلمس العلة فى عدم توصية النبى لأحد بالخلافة ، نراه فى الوقت ذاته يشير إلى مخافة النبى من وقوع الانقسام والفتن ، فهل لا يعتبر هذا تعليلا ؟ . وفى هامش ٥٢ نرى خطأ مطبعياً لم يصححه ، كذلك لم يبين المؤلف كيف كان جمع الناس على مصحف واحد عاملاً من عوامل الثورة صفحة ٦١ ، وفى صدد الكلام عن إيثار عثمان أقاربه بالخلافة نراه يثبت فى صفحة ٦٥ أن عثمان عزل عن الكوفة محمد بن عتبة وولى سعيد بن العاص ، ولكن المؤلف عند ما راح ينقد هؤلاء الولاة تكلم عن الوليد كوال للكوفة فاذا كان من أمر سعيد بن العاص ؟ ومتى عين الوليد ؟

هذا وفيما عدا تلك الهنات فالكتاب بحث قيم ممتع . ومما يحمد للمؤلف أنه وضع فى آخره ثبتاً مسهباً للمراجع العربية والأفرنجية وأنه عنى بطبعه عناية جعلت الكتاب فى طبعته الثانية هذه أجل شكلاً وألطف حجماً مما كان عليه فى لباسه الأول ، وهو مطبوع فى دار النشر الحديث للأستاذ الصاوى وثمنه خمسة وسبعون مليما

— ٢ —

يأتى بعد ذلك كتاب « الشخصية » للأستاذ محمد عطية الابراشى وهو كتاب ظريف الشخصية قويها ، يجتذبك إذا رأيته ، ويسرك إذا خبرته : يجتذبك بلطف شكله وحجمه ، ويسرك بما تطالع فيه من عوامل تكوين الشخصية . والأستاذ المؤلف معروف اليوم بكتاباته فى علم النفس ، ولقد كتب عن الشخصية فصلاً فى كتابه فى « علم النفس » ولكن « عن له فيما بعد أن موضوعاً كالشخصية يحتاج إلى كثير من التفصيل والتمثيل ، والآن يسره أن يتقدم إلى قراء العربية وبخاصة شبان اليوم ورجال الغد بذلك الكتاب »

ولقد نحا الأستاذ فى كتابه طريقة سهلة سائغة ، فهو يتعرض للمسألة ثم يوضحها بالأمثلة المتنوعة ؛ ومما يحمد له أنه كان يأتى بها من

الشرق والغرب ، بل لقد كان يتمثل بكثير من الشخصيات العربية ويرينا كثيراً من مواقف البطولة والفضيلة عند العرب ويعرض علينا منهم صوراً ما أجملها وأدقها فى المقارنة بين حاضرنا وماضينا

بهذه الطريقة الشائقة جعل الأستاذ الابراشى كتابه فى متناول كل قارىء فلا يحتاج الانسان إلى كد ذهنه فى تفهمه ، بل إنك إذا تناولته لا تحب أن تدعه حتى تتمه

بيد أنى أحب أن أشير إلى بعض هنات ما أحسبها تنال من شخصية الكتاب إلا بمقدار ما ينال من شخصية العالم الضليع بعض ما تضطره إليه العجلة من الهفوات . فلست أرى رأيه فى المثال الذى أورده فى صفحة ١٠ عن الحجاج وزيادبن عمرو العتكى ؛ وأسأل الأستاذ ماذا عسى أن يكون موقف الحجاج لو أن زيادا انتقده عند الخليفة وأظهر معايبه ؟ كذلك لا أشاركه رأيه فى أن من أكبر عيوب نابليون شدة قسوته على النوع الانسانى . ثم إنه ذكر نابليون فى صفحة ٥٠ باسم ملك فرنسا وما كان نابليون ملكا فى يوم ما ؛ ثم هو يقول عن بلستور إنه أعظم العلماء نفعاً للبشرية وهذا تعميم فى غير محله . هذا إلى أننى لم أفهم ما يرمى إليه فى الفصل التاسع ، فأنه يخيل إلى أنه يعتبر نقص الانسان فى الخلقة كأنه أمر مستحب لا ينبغى أن يخشى المرء منه أو يتوقاه لأنه « ان نقص الانسان من جهة حاول أن يكمل نفسه من جهة أخرى » . وما أظن هذا يقع فى جميع الظروف والأحوال ؛ والأستاذ نفسه يشير فى أول الفصل إلى أن الشخص الناقص فى الخلقة كثيراً ما يضطر إلى التكلف والتظاهر وهما من أكبر ما يهدم الشخصية . وفيما عدا هذا فالكتاب جدير بأن ينتفع به شبابنا ، وهو من المؤلفات التى نشعر بأشد الحاجة إليها لنبنى بها الجيل الجديد ، ونطبع رجاله على الفضيلة ، ولذلك فأنى شديد الغبطة حين أقدمه إلى القراء

— ٣ —

أتكلم بعد ذلك عن كتاب « التربية الانكليزية » وهو كتاب آخر للأستاذ الابراشى أو هو دليل آخر على نشاطه العقلى ، ويقع فى نيف ومائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير محلى بأكثر من ثلاثين شكلاً توضيحياً

نهج الأستاذ فى هذا الكتاب طريقة العرض ، فموضوعه وصفيا أكثر منه نقديا ، يستطيع القارىء بمطالعته أن يلم بنظم التعليم فى إنجلترا والروح التى تسير تلك النظم . وأعتقد أن الأستاذ أحسن بذلك صنعاً ، فما أحوجنا فى مصر إلى مقارنة نظمنا المدرسية بغيرها من النظم فى البلاد المتمدنة ، إذ ما تزال تلك النظم عندنا مضطربة لا تكاد تتبين لها غاية ، بل لا تكاد تعرف على أى أساس وضعت . نعم إن لكل أمة ظروفها ولكل أمة وجهتها ، ولكن المقارنة على الرغم من ذلك خليقة بأن تكشف لنا كثيراً من عيوبنا وأن تبين لنا كثيرا من أوجه الاصلاح ، وعلى الخصوص فيما كان له مساس بالقواعد العامة للتربية والغرض منها مما لا تختلف فيه الأمم كلها اختلافاً كبيراً

تطالع فى هذا الكتاب مناهج التعليم الأولى والابتدائى والثانوى فى انجلترا فى المدارس الشعبية والحكومية ، وتتبين فيه الروح التى تسيطر على كل مدرسة ونظامها المحلى والداخلى ، وما يتعلق فيها بالأساتذة وطريقة اختيارهم ومرتباتهم ورؤساء المدارس واعمالهم ، كما تتبين الغاية التى يرمى اليها التعليم فى جملته ، فلقد أسهب الأستاذ فى الأمثلة وإيراد البيانات والجداول التى تقوم فيها الأرقام مقام الكلام ، ثم تطالع الى جانب ذلك فصولا فى الجامعات الانجليزية ونظمها وكليات المعلمين ، وإدارة التعليم فى البلاد والسلطات المحلية والرئيسية والتفتيش المدرسى وأعمال المفتشين . . . الخ

ولقد يقول بعض الناس ، وأراهم محقين فيما يقولون إن الكتابة عن التعليم ينبغى أن تكون كتابة نقدية تحليلية ، أو بعبارة أخرى ينبغى أن يعنى فيها بالناحية النظرية ويكتفى بضرب الأمثلة ، على نحو ما فعل صاحب « سر تقدم الانجليز السكسونيين » مثلا فى كلامه عن التربية فى انجلترا ، وكما فعل مؤلف هذا الكتاب الذى أحدثك عنه فى كلمته التى صدر بها الكتاب ، وهى « كلمة عامة عن العلم فى انجلترا » . بيد أنى أرى من جهة أخرى أن الطريقة الوصفية تضع أمام المشتغل بالتربية مادة درسه فيستخرج منها ما شاء من النظريات ، وهى فى ذاتها طريقة عملية يظهر أثرها قويا كما أسلفت بين نظم ونظم ، وبالمقارنة يهتدى الى كثير من الصواب . وكذلك أميل الى اعتبار طريقة الأستاذ ميزة كتابه بدل أن أراها عيباً فيه ، هذا ومما يحمد له أنه يشير بين حين وآخر الى ما يراه من أوجه النقص فى نظمنا ذاكرا ما يرى من أوجه الاصلاح والعلاج بقدر ما اتسع له المجال ؛ وحبذا لو رأينا له فى القريب العاجل كتابا عن « التعليم فى مصر » ينتقد لنا فيه ما يراه عندنا من خلل ونقص ويبسط لنا آراءه فيما يرى من سبل الاصلاح

الخفيف